

في
التنوير الإسلامي

((٢٤))

الحضارات العالمية تدافع ؟ .. أم صراع ؟؟

تأليف

د . محمد عمارة

الحضارات العالمية تدافع ؟ .. أم صراع ؟؟

تأليف

د. محمد عماره



مكتبة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

الحضارات العالمية تدافع ؟ .. أم صراع ؟؟

د / محمد عمارة

ديسمبر ١٩٩٨ م . (طبعة أولى)

١٥٢٢٢ / ١٩٩٨ م -

I . S . B . N 977 - 14 - 0869 - 0

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت : ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)

فاكس : ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١

١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢

فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ / ٠٢ ص.ب : ٩٦ الفجالة

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت : ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢

فاكس : ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢ ص.ب : ٢٠ إمبابية

اسم الكتاب :

اسم المؤلف :

تاريخ النشر :

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

الناشر :

المركز الرئيسي :

مركز التوزيع :

إدارة النشر :

الرؤية الإسلامية

بعد سقوط المنظومة الماركسية ومعسكرها وأحزابها وحكوماتها سنة ١٩٩١م ، وزوال «الشقاق الاجتماعي» الذي استمر داخل الحضارة الغربية لأكثر من سبعين عاما - الشقاق بين «الليبرالية - الرأسمالية» و «الشمولية - الشيوعية» - أعلنت الليبرالية الغربية عن انتصارها «التاريخي» لا في إطار حضارتها الغربية فقط ، وإنما مدعية عالمية - بل وأبدية - هذا الانتصار ... وكان كتاب «فوكوياما» الأمريكي الجنسية ، الياباني الأصل - (نهاية التاريخ) الإعلان عن دعوى وادعاء هذا الانتصار ..

ولقد حظى هذا الكتاب الصغير في وطن العروبة وعالم الإسلام باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! .. وقبل أن تهدأ عاصفة (نهاية التاريخ) أثار الكاتب الأمريكي - اليهودي الديانة - «صامويل . ب هانتنجتون» عاصفة أشد ، بدراسته عن (صراع الحضارات) .. وهي الدراسة التي استقبلت في شرقنا العربي والإسلامي - أيضا - باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! .. وعلى خلاف هذا الاستقبال الغاضب والرافض ، الذي استقبلت به هاتان الدراستان .. فلقد كان الأولى - في تقديري - أن نتأملهما جيدا ، وأن ننظر إليهما باعتبارهما إعلانا صريحا وصادقا عن «واقع موقف» الحضارة الغربية من الأمم والقوميات والحضارات غير الغربية ، و«واقع موقف» الليبرالية الرأسمالية من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية الأخرى .. ومن ثم كان

علينا أن نشكر «فوكومايا» ، و «صامويل هانتنجتون» على الصدق فى إعلان حقيقة واقع الموقف الغربى من «الآخرين» .. كل الآخرين .

فـ «فوكومايا» أراد أن يعلن - فى لحظة صدق ، عبرت عن «واقع موقف» الحضارة الغربية - أن سقوط الشيوعية يعنى : السيادة الأبدية للبرالية الرأسمالية الغربية - ومن ثم لنظامها «العالمى» الجديد ، على كل المذاهب والفلسفات الاجتماعية ، وعبر كل القارات والأمم والحضارات .. وإلى الأبد ! ..

وكان مفترضاً - وواجباً - أن نولى الاهتمام ، ونقدم الشكر ، لمن يصارحنا بحقيقة موقف الغرب من المذاهب والأيديولوجيات والحضارات غير الغربية .. فمن يصارحنا بحقيقة موقفه منا أولى بتقديرنا وشكرنا - حتى ولو كان عدواً لنا - من أهل الغواية والمراوغة ، الذين يقدمون «الفكر» فى ثياب «الدبلوماسية» ويتحدثون عن «حوار الحضارات» فى ذات الوقت الذى يحتاجون فيه كل مقومات ذاتيتنا الحضارية ، من الثقافة - إلى القيم .. إلى الاقتصاد .. وحتى السيادة الوطنية .. وحق تقرير المصير ..

ولقد تابعت الكثير مما كتب عن دراسة «هانتنجتون» حول (صراع الحضارات) .. ووجدت - فى كثير من هذا الذى كتب عنه - رفض الذين كانوا يتمنون لو أن الرجل لم يعلن حقيقة الموقف الغربى من الحضارات غير الغربية !! ..

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجتون» عن :

● أن الصراع القادم هو صراع حضارات ، تمايز بينها وتحدد أوطانها وحدودها «الثقافات» ..

● وأن أشد وقائع هذا الصراع قائم بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ..

● وأن على الغرب أن «يُحيّد» الحضارات الأخرى ، حتى يصرع الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، ثم يستدير ليحتوى تلك الحضارات التى «حيدها» ! ..

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجتون» هذا باعتباره «رأياً» فانتقدوه .. بينما الرجل يتحدث عن «واقع موقف» الحضارة الغربية - التاريخى - فى هذا الميدان .. وعن تصاعد حدة «واقع» هذا الموقف ، بعد سقوط الشيوعية ، وفراغ الليبرالية الرأسمالية الغربية من نزيف الشقاق والانشقاق الاجتماعى الداخلى ، الأمر الذى أعاد الوحدة الاجتماعية - على أرض الليبرالية - لكل دول وقوميات الحضارة الغربية ، وزاد من قوة قبضتها فى مواجهة «الآخرين» ! ..

فللرجل فضل الإعلان عن «واقع الموقف» الغربى .. وكان أولى بنا أن ننظر إلى دراسته بهذا المنظار ، ولو أننا نظرنا - حتى النظرة العجلى - إلى «واقع» علاقة الحضارة الغربية - تاريخياً - بغيرها من الحضارات ، لوجدنا أن هذا «الواقع - التاريخى» قد جسّد هذا الذى تحدث عنه «هانتنجتون» فى تاريخ من الصراعات والهيمنة والغطسة والاستعمار والاستغلال .. منذ غزوة الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) - التى أخضعت الشرق للإغريق والرومان ،

حتى أزاحتها الفتوحات الإسلامية ، بعد عشرة قرون ! .. وعبر
 الغزوة الصليبية ، التي جاءت لتستعيد الهيمنة على الشرق ،
 ودامت حملاتها قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ -
 ١٢٩١ م) .. ووصولاً إلى الغزوة الحديثة ، التي بدأت الالتفاف
 حول العالم الإسلامي فور سقوط «غرناطة» ، واقتلاع الإسلام
 وحضارته من غرب أوروبا - في الأندلس - (٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م) ..
 ثم ثنت بغزو قلب العالم الإسلامي - مصر والشام - بحملة
 بونايرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) على مصر (١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م) ..
 وهى الغزوة التى لا زال المسلمون يعالجون جراحها وآثارها حتى
 كتابة هذه السطور ! .. وحتى الحديث عن إفصاح «هانتنجتون»
 عن حقيقة موقف الغرب من هذا الصراع ..

وغير هذا «الواقع التاريخي» الذى جسّد «النزعة الصراعية»
 للحضارة الغربية إزاء غيرها من الحضارات ، وإزاء الحضارة
 الإسلامية على وجه الخصوص .. هناك الكتابات التى قد تعز
 على الحصر ، والتى تتحدث عن «المركزية الغربية» التى جعلت
 وتجعل الحضارة الغربية نزاعة إلى احتواء الآخر ، وترويضه ودمجه
 فى نمطها الحضارى ومنظومتها القيمية .. وهى النزعة التى
 اعتمدت طريق «الصراع» فى العلاقة بالآخرين ، بل وجعلت من
 هذا الصراع مع الآخرين ، ومن احتوائهم ، وإلغاء ذاتيتهم
 وخصوصيتهم وهويتهم وتميزهم ، جعلت من ذلك كله «رسالتها
 الحضارية النبيلة!» التى تقوم بها لتمدين هؤلاء الآخرين !!

ولقد ساعدت النظريات الثلاث ، التي زُكَّت وأثمرت هذه «النزعة الصراعية» فى البنية الفكرية للحضارة الغربية ..

١ - الهيجلية - نسبة إلى «هيجل» Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١م) فى فلسفة التاريخ .. وهى التى قامت على نسخ العصر الجديـد للعصر القديم ، عبر الصراع مع مكوناته ، والمحو لها ، والحلول محلها ..

٢ - والدارونية - نسبة إلى «دارون» Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) - فى فلسفة النشوء والارتقاء .. وهى التى قامت على صراع الأحياء ، ونسخ ومحو الأقوى للأضعف والضعيف ، لأن الأقوى - بإطلاق - هو الأصلح بإطلاق ..

٣ - والصراع الطبقي - سواء فى ماركسية «ماركس» Marx (١٨١٧ - ١٨٨٣م) - أو فى الليبرالية الرأسمالية - .. والذى يعتمد «النزعة والفلسفة الصراعية» فى علاقات الطبقات الاجتماعية .. فالطبقة الوليدة والجديدة تصارع الطبقة القديمة ، لتقهرها ، وتزيحها ، وترثها ، وتنفرد بكل الثمرات والامتيازات والسلطات .. البورجوازية فى الليبرالية .. والبروليتاريا عند الماركسيين ..

لقد ساعدت هذه النظريات الثلاث ، التى صبغت هوية الحضارة الغربية بصبغة الفلسفة الصراعية ، على إماتة الضمير الغربى ، إبان «صراعه» مع الحضارات غير الغربية .. فبما أنه هو الأقوى ، فهو - إذن - الأصلح .. ولذلك ، فإن صراعه ضد الحضارات الضعيفة ، والبنى الموروثة للأثم المستضعفة ، هو «قانون علمى» ، و«رسالة نبيلة» يقوم بها هذا الرجل الأبيض

لإزالة «الماضى» .. والمواريث والمؤسسات «الضعيفة» ، وإحلال النموذج الحضارى الغربى «القوى .. والأقوى» ، فى العالم كله ، عبر التطبيقات المتنوعة «لفلسفة الصراع» ! ..

أما اختصاص الإسلام وأمته وحضارته وعالمه بالخط الوافر من جهود الغرب فى صراع الحضارات ، فإن واقع الصراع التاريخى شاهد عليه .. وصورة الإسلام ورسوله - ﷺ - وصورة المسلمين ، فى الذاكرة والخيلة والشفافة والإعلام الغربى شاهد - آخر - عليه .. وكلمة القائد العسكرى الإنجليزى «جلوب باشا» - الذى كتب عن الفتوحات العربية .. وحدد تاريخ «مشكلة الشرق الأوسط» مع الغرب - فقال : «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط يعود إلى القرن السابع للميلاد» !! - .. أى إلى ظهور الإسلام - .. وهى كلمة جديرة - وحدها - بإفاقة السكارى والنيام ! ..

لذلك كله - ومثله الكثير - كنت أتمنى - مع رفضنا لفلسفة الصراع فى علاقات الحضارات ، ومع تزكيتنا لمنهاج الإسلام فى التدافع والتسابق بين الحضارات على طريق التقدم - أن ننظر إلى هذا الذى قدمه «صامويل هانتنجتون» باعتباره «فضيلة صدق» ، عبرت عن «واقع الموقف الغربى» فى العلاقة «بآخرين» .. وهو «الواقع» الذى خبرناه تاريخيا .. والذى صارحنا «هانتنجتون» بأنه ثابت ومستمر فى المستقبل القريب والبعيد ! ..

● فالرجل لم يحاول خداعنا - كما يصنع كتاب غربيون آخرون .. ومعهم أغلبية المتغربين من مثقفينا - بالقول بواحدية الحضارة عالميا .. وإنما قال الرجل بتعددية الحضارات على هذا

الكوكب الذى نعيش فيه .. وهو قد حدد « الثقافة » معيارا لتعدد وتمايز الحضارات .. ففى « المدنية » وعلوم المادة ، وعمران الواقع المادى تشترك كل الحضارات .. لكنها تمايز وتختلف فى عمران النفس الإنسانية الذى تصنعه الثقافات .. وعن هذه الحقيقة الهامة قال « هانتنجتون » : « إن الحضارة هى كيان ثقافى ... » .

وعن التعددية الحضارية - فى عالمنا - .. والمعايير الثقافية التى أثمرت هذه التعددية ، يقول : « .. وليس ثمة حضارة عالمية ، بل عالم من الحضارات المختلفة .. وفى العالم سبع أو ثمان حضارات كبرى :

١ - الحضارة الغربية ..

٢ - والصينية الكونفوشوسية ..

٣ - واليابانية ..

٤ - والإسلامية ..

٥ - والهندية ..

٦ - والأرثوذكسية السلافية ..

٧ - والأمريكية اللاتينية ..

٨ - وربما الأفريقية ..

وهى حضارات تمايز عن بعضها البعض باللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، والعادات ، وأهم من ذلك : الدين .

وأبناء هذه الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة

بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والآباء والأبناء ، والزوج والزوجة . وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات ، والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمى .

وهذه الاختلافات هى نتاج قرون ، ولن تختفى فى القريب العاجل ، إذ أنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجية السياسية والنظم السياسية .

هكذا حدد «صامويل هانتنجتون» - فى دقة وموضوعية - موقفه مع تعدد الحضارات . . ومع دور الثقافات المتميزة فى التعددية الحضارية ، ودور الدين والثقافة فى التمايز الحضارى . . وتنوع الأمم - ومن ثم الحضارات - فى فلسفات : رؤية الكون والماضى والمستقبل ، وتصوراتها المتنوعة للمثل والمعايير الحاكمة والمنظمة للعلاقات بين الفرد والمجموع ، وبين الأمة والدولة ، وبين الحرية والمسئولية ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الزوج والزوجة ، وفى المساواة والتراتب الهرمى . . إلخ . . إلخ . .

● وبعد هذا الانحياز - الموضوعى والدقيق - للتعددية الحضارية فى عالمنا ، ورصد معاييرها ، والإشارة إلى أصلاتها وثباتها ، وعلو تأثيراتها على الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية ، أفصح «هانتنجتون» عن الموقف الغربى المنحاز لفلسفة الصراع بين الحضارات ، لا كموقف ذاتى اختاره ويبشر به ويدعو إليه «هانتنجتون» ، وإنما «كحتمية واقعية» للموقف الغربى إزاء الحضارات الأخرى . .

فهو مجرد «واصف» لتاريخ هذا الصراع الغربى مع الحضارة الإسلامية . عندما يقول : «إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام ، وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات» ..

وهو بالنسبة للمستقبل - مستقبل العلاقة بين الغرب والحضارة الإسلامية - يفصح عن المخططات التى تعلنها الكثير من دوائر صنع القرار الغربى ومراكز الفكر الاستراتيجى الغربى - وهو مدير أحد تلك المراكز بجامعة هارفارد الأمريكية - .. فيقول : «إن البؤرة المركزية للصراع ، فى المستقبل القريب ، سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والأسبوية ..» .

● وبعد هذا «الإفصاح» عن «واقع الموقف الغربى» من صراع الحضارات - تاريخيا .. ومستقبلا - .. يأتى دور «هانتجتون» كمفكر استراتيجى غربى - يهودى الديانة - ليشير على حضارته الغربية بكيفية إدارة هذا الصراع الحضارى ، مستقبلا ، ومراحل هذا الصراع ، وأولويات المعارك فيه ..

فهو يشير على صناع القرار - فى حضارته الغربية - بتقسيم مراحل الصراع المستقبلى إلى مرحلتين :

الأولى - والقريبة - : هى مرحلة «المدى القصير» .. وفيها ينصح «هانتجتون» الغرب بتوحيد عالمه الحضارى ، وتحجيش كل أدوات الصراع - من آلة الحرب إلى الاقتصاد ، إلى السياسة ، إلى الثقافة ، إلى القيم ، إلى المؤسسات الدولية - وتركيز الصراع ضد

الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية .. فيقول : «إنه على المدى القصير من مصلحة الغرب أن يعزز تعاوننا أكبر ، وتوحيداً في نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكوتيهما : الأوربي والأمريكي الشمالي • وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في الغرب ، وهى مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب • وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ، ويحافظ عليها • وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى بين الحضارات» • وأن يجد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية • وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية • ويحافظ على التفوق العكسرى شرق وجنوب غرب آسيا» • وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية في الحضارات الأخرى • وأن يقوى المؤسسات الدولية التى تعكس وتسوّغ المصالح والقيم الغربية ، وتضفى عليها الشرعية • وأن يروج لاشتراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات ..

فالرجل - كأستاذ وخبير في الاستراتيجية .. ومقرب من دوائر صنع القرار - يضع أقوم «جدول أعمال» الصراع الحضارى في «مرحلة المدى القصير» .. وهو «جدول أعمال» نرى تطبيقاته قائمة على قدم وساق ! ..

فالمطلوب من الغرب - فى «المدى القصير» من هذا الصراع الحضارى :

١ - توحيد كيانه الحضارى ، وتعزيز التعاون بين دوائره ، ودمج

شرق أوروبا بغربها ، وكل أوروبا مع أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية . . أى الغرب الثقافى والقريب من ثقافة الغرب . . وهو الغرب النصرانى بمذاهبه المختلفة .

٢ - والتعاون والتحييد وضبط الصراعات فى كل الدوائر الحضارية ، بل واستغلال حتى تناقضات الغرب فى داخل الحضارات غير الغربية ، لكى يكون التركيز : فى الصراع ، ضد الإسلام والصين .

٣ - وتقليص القدرات العسكرية للمسلمين والصينيين ، وزيادة القدرات العسكرية الغربية ، والحفاظ على التفوق العسكرى الغربى «فى شرق وجنوب غرب آسيا» ، أى فى مواجهة الصين والمسلمين ! . .

٤ - وتقوية المؤسسات الدولية التى تنهض «بتسوية المصالح والقيم الغربية ، وتصفى عليها الشرعية ، وإشراك الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات» . . لتلتزم بالمواثيق «الدولية» المسوغة للمصالح والقيم الغربية - على النحو الذى رأيناه ونراه فى المؤتمرات والمواثيق التى عقدت وتعقد تحت مظلة المؤسسات «الدولية» - من «السكان» - فى القاهرة - إلى «المرأة» - فى بكين - إلخ . . إلخ . .

تلك هى معالم خطة «هانتنجتون» للمدى القصير ، والمرحلة الأولى من صراع الغرب الحضارى ، الذى ينصح بتركيزه على الحضارتين الإسلامية والصينية ! . .

أما المرحلة الثانية - من هذا الصراع الغربى ضد الحضارات غير الغربية - مرحلة «المدى الطويل» - فهى - بتعبير «هانتنجتون» - : مرحلة الاحتواء الغربى للحضارات غير الغربية ،

والتي نجحت في «تحديث» واقعها ، مع احتفاظها بذاتها وهويتها الحضارية غير الغربية! . .

فبعد المرحلة الأولى من هذا الصراع الحضارى . . مرحلة كسر شوكة الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية . . تأتي مرحلة احتواء الحضارات الأخرى ، غير الغربية ، التي حيدّها الغرب في المرحلة الأولى من هذا الصراع ، وخاصة تلك التي نجحت في ميدان القوة والتحديث العسكرى والاقتصادى . . وبعبارة «هانتنغتون» : «أما على المدى الأطول ، فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمراً مطلوباً . فالحضارة الغربية هي حضارة غربية وحديثة معا . وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية . وحتى يومنا هذا لم تنجح في هذا المسعى إلا اليابان ، وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة ، التي تمثل جزءاً من كون الحضارة حديثة . كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية ، أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالنسبة للغرب . ومن ثم ، يتوجب على الغرب - على نحو متزايد - :

● أن يحتوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية ، التي تقترب قوتها من قوة الغرب ، لكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب . وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه الحضارات !

هكذا عبر وأفصح «صامويل . ب هانتنجتون» عن الرؤية الغربية للمستقبل الحضارى للعالم الذى نعيش فيه .

فالغرب يتصور حضارته منفردة «بالعرش الحضارى» العالمى . .
فهى المركز والمنهاج والطريق الذى يجب على الآخرين تقليده ،
أو اللحاق به ، لتبنيه . . حادثة كان هذا النموذج ، أو ما بعد
الحدثة ! . . لأن الليبرالية الرأسمالية هى - بالنسبة للعالم كله
- هى نهاية التاريخ - «والقدر الغربى» ، الذى ليس منه فرار ! . .

ويتصور «الصراع» بين الحضارات المتعددة ، سبيلا للإلغاء
هذه التعددية الحضارية - فى المدى الطويل - . . فبعد
استجماع الغرب وحدته وتجييشه لكل إمكاناته ، وتجييده
للحضارات غير الغربية ، ينجز مهمة المرحلة القصيرة والأولى
من هذا الصراع الحضارى : كسر شوكة الحضارة الإسلامية ؛
والحضارة الصينية ؛ مع ضبط كل الحضارات داخل المؤسسات
«الدولية» التى تقوم بمهمة تسوية المصالح والقيم الغربية ؛
وإضفاء الشرعية عليها ! . .

أما فى المدى الأطول - وبعد الفراغ من كسر شوكة الحضارة
الإسلامية والحضارة الصينية - فسكون الهدف الغربى - فى
هذا الصراع الحضارى - هو احتواء بقية الحضارات غير
الغربية ، تلك التى لم تحب فى تحديث مجتمعاتها عسكريا
واقتصاديا - وهى الحضارات التى سبق «وحيدها» الغرب فى
المرحلة الأولى من هذا الصراع - . . وذلك ليتحقق للغرب
الانتصار الأعظم فى هذا الصراع ، منفردا بالقوة والتحديث
والهيمنة على العالم ، دونما شريك . . وخاصة إذا جمع هذا

«الشريك» بين التميز الثقافى والحضارى وبين نهضة التحديث
وقوة التجديد ! ..

هكذا يفكر الغرب - كحضارة - فى دوائر الفكر
الاستراتيجى . . وفى دوائر صنع القرار - . . وليس بالضرورة
كإنسان ، بتعميم وإطلاق . .

ففى الغرب تيارات فكرية تدرك أن هذه الفلسفة الصراعية -
التي تتبناها كثير من مراكز الدراسات الاستراتيجية الغربية .
وتطبقها وتارسها كثير من الحكومات الغربية - تدرك أن هذه
الفلسفة الصراعية إنما تمثل «خطيئة فكرية» ، ووبالا على الإنسانية
جمعاء . . وبعض هذه التيارات الفكرية - فى الغرب - يسعى إلى
الحوار الصادق مع تيارات التجديد الإسلامى . لاكتشاف وتحديد
وبلورة القيم الإنسانية المشتركة بين مختلف الحضارات والأنساق
الفكرية والعقدية لختلف الأمم والشعوب والديانات والثقافات . .

أما الغرب ، الذى أفصح عن «واقعه الفكرى والعملى» صامويل
هانتجتون فهو هذا الذى رأيناه ورأينا مخططة فى صراع الحضارات . .
ولنا أن نسأل : من ذا الذى يستحق منا التقدير والاحترام :

- صامويل . ب هانتجتون . . الذى انحاز إلى التعددية
الحضارية فى عالمنا . . ثم أفصح عن الموقف الغربى من هذه
التعددية الحضارية ؟ . .

- أم هؤلاء الذين يخذعوننا عندما يتحدثون عن وحدة الحضارة
العالمية ، التي عدت - بما يسمونه «العولمة» - قرية واحدة . . متجاهلين

أن أهل هذه القرية ليسوا سواء .. فمنهم القاتل ومنهم المقتول .. ومنهم المدجج بكل أسلحة الدمار ومنهم من يُنزع سلاحه ... ومنهم مغتصب الأرض والعرض والسيادة ومنهم المشردون المحرومون من أبسط الحقوق في تقرير المصير .. ومنهم الذين يجتاحون اقتصاديات وقيم وثقافات الآخرين ، ومن تعرض هوياتهم وخصوصياتهم لأشرس أعوان الاجتياح !! .. من يستحق الاحترام ..

«هانتجتون» .. الذى يصارحنا بحقيقة الفكر السائد فى الغرب - بمراكز الدراسات الاستراتيجية .. وفى دوائر صنع القرار - ؟ .. أم دعاة «العولمة» و «الكوكبية» ، «الكوننة» .. أولئك الذين يطعمهم الإعلام الغربى بالمصطلحات التى يصكها ، وبمضامين هذه المصطلحات ، لينطلقوا فى التردد والتكرار والتقليد ؟ ..

أعتقد - والله أعلم - أن «صامويل . ب هانتجتون» هو الحدير بالاحترام !

وإذا كانت هذه هى الرؤية الغربية للعلاقة بين الحضارات ، والتى تأسست على «النزعة الصراعية» التى صبغت فكرية الحضارة الغربية - منذ صراعات آلهة اليونان بعضهم مع بعض وحتى صراع الحضارات الذى تحدث عنه هانتجتون - وعبر الصراعات الدينية والمذهبية والقومية والاستعمارية . فإن للإسلام رؤية أخرى للعلاقة بين الحضارات ..

● فالإسلام يرفض فكرة الواحدية والمركزية الحضارية ، بانحيازه

إلى «فلسفة التعددية» ، كروية كونية . . فالواحدية هي فقط للذات الإلهية ، وما عدا الله - سبحانه وتعالى - يقوم على التعدد والتساند والتوازن والارتفاق . .

يرى الإسلام هذه التعددية السنة الإلهية والقانون الكوني الذي لا تبديل له ولا تحويل . . في الشعوب والأمم والقبائل . . وفي الألسنة واللغات والقوميات . . وفي الشرائع والملل والنحل . . وفي المناهج والثقافات والحضارات . . فالتعددية هي الأصل والقاعدة والقانون . . والعالم يجب أن يكون «متعدد حضارات» ، لا حضارة واحدة تصارع وتصرع غيرها من الحضارات ! . .

● والبديل الإسلامي لصراع الحضارات ، ليس حالة «السكون» في علاقات الحضارات بعضها ببعض الآخر ، لأن في السكون «موتاً» ، ربما أفضى إلى «التبعية والتقليد» ، اللذين ينتهيان إلى الواحدية والمركزية الحضارية . . وإنما البديل الإسلامي لفلسفة الصراع ، هو «فلسفة التدافع» بين الحضارات . .

وهذا التدافع هو «حرك» اجتماعي وثقافي وحضاري ، أي تنافس وتسابق بين الحضارات يعدل المواقف الظالمة ، والممارسات الجائرة ، والعلاقات المنحرفة ، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى - فيلغى التعددية - وإنما بالحراك والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلة إلى درجة التوازن والعدل في العلاقات بين مختلف الفرقاء . .

«فالتدافع الحضاري» - الذي هو حراك وتنافس وتسابق ، يحافظ على التعددية . ويتوسط بين «الصراع» وبين «السكون» -

هو فلسفة الإسلام وسبيل حضارتنا الإسلامية فى العلاقات بين الحضارات ..

وفلسفة التدافع هذه ليست مجرد «فكر إسلامى» ، حتى تكون من مناطق «الاجتهادات والمتغيرات» ، وإنما هى «دين ثابت» ، ومنهاج بلوره الوحى الإلهى فى القرآن الكريم ، باعتباره سنة من سنن الله فى الاجتماع الإنسانى ، حاكمة للعلاقات بين الأفكار والشرائع والملل والأقوام والحضارات ..

قاله - سبحانه وتعالى - عندما يخاطب رسوله - ﷺ -
فيقول له : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥] ..
يعلمنا - سبحانه - معالم هذا المنهاج .. فالتدافع لا يتغيا «صرع الآخر والغناء» ، وإنما تحويل موقفه وموقعه من «العداوة» - التى تجعله من أهل «السيئات» - إلى موقع وموقف «الولى الحميم» - الذى يجعله من أهل «الحسنات» ! - .. فیتتم «الحرآك» ، بواسطة «التدافع» ، مع بقاء «تعددية الفرقاء المتمايزين» ..

بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه «السبيل الإسلامية» - سبيل «التدافع» ، لا «الصراع» - باعتبارها الحافز الذى يدفع الحياة والعمران إلى الارتقاء دائما وأبدا .. ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعَالَمِينَ ﴾

[البقرة : ٢٥١]

فالصراع الحضارى .. ونقيضه - السكون الحضارى - ليس
سبيل التقدم والصلاح والإصلاح ، وإنما سبيل التقدم هو وسطية
التدافع والتنافس والتسابق على طريق التقدم والنهوض
والخيرات ..

وعندما أذن الله - سبحانه وتعالى - لرسوله - ﷺ -
وللمؤمنين بالقتال - قتال الذين أخرجوهم من ديارهم وقتلواهم
وفتنوهم فى الدين - جاء الحديث عن «التدافع» ، لتكون غايات
القتال - الذى فرض على المسلمين وهو كُرة لهم - هى تعديل
مواقف المشركين من مواقع العداء المشرك المعتدى إلى مواقف
السلام ، فهى «حراك» لا «نقى وإهلاك» : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ . أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم فى
الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن
المنكر والله عاقبة الأمور ﴿[الحج : ٣٨ - ٤١] .

ففلسفة «التدافع الحضارى» هى البديل الإسلامى «لفلسفة
الصراع الحضارى» الغربية .. ولذلك ازدهرت فى دولة الإسلام
وحضارته وأمتة التعددية فى الملل والنحل والشرائع واللغات

والقوميّات والعادات والأعراف ، فعاشت الديانات - الكتابية
والوضعية - ومؤسساتها ، فى ظلال حضارة الإسلام . .

على حين جعلت «النزعة الصراعية» الحضارة الغربية تضيق
حتى بالتعددية المذهبية داخل النصرانية ! . . ولا تزال هذه «النزعة
الصراعية» تحدد للغرب منهاج العدوان وطريق الصراع ضد سائر
الحضارات . . وخاصة حضارة الإسلام ! . . على النحو الذى رأيناه
فى «اعتراف» «صامويل . ب . هانتنجتون» !

الرؤية الغربية
مقال
صامويل . ب . هانتنجتون
صدام الحضارات^(١)

(١) نشر صامويل . ب . هانتنجتون . وهو مفكر استراتيجي . . يهودي الديانة . . أمريكي الجنسية . يعمل مديراً لمعهد « جون . م . أولين » للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الأمريكية . . ومن المقربين إلى دوائر صنع القرار بالإدارة الأمريكية . نشر هذا المقال مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية . وهي دورية متخصصة عالية المستوى بعنوان The Clash of Civilization سنة ١٩٩٣ م . ولقد صدرت - بالعربية - ترجمات عدة لهذا المقال ، اختبرنا منها ترجمة عبدالمشعم محفوظ . انظر مجلة (الحرس الوطني) السعودية . عدد ذي القعدة - ذي الحجة سنة ١٤١٦ هـ - مارس - إبريل سنة ١٩٩٦ م .

النمط القادم للصراع

إن فرضيتى تقوم على أن المصدر الجوهرى للصراع فى هذا العالم الجديد لن يكون فى الأصل أيديولوجيا أو فى الأصل اقتصاديا ، وإنما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشرى والمصدر السائد للصراع ثقافيا . وسوف تبقى الدول القومية هى أكثر الفاعلين قوة فى الشؤون الدولية ، ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية سوف تقع بين الأمم والجماعات ذات الحضارات المختلفة ، وسوف يسيطر صدام الحضارات على السياسة العالمية وستكون خطوط الخلل بين الحضارات هى خطوط المعركة فى المستقبل .

سوف يكون الصدام بين الحضارات هو الطور الأخير فى منحنى تطور الصراع فى العالم الحديث . فعلى مدار قرن ونصف القرن من بروز النظام الدولى الحديث بتوقيع سلام « وستفاليا » ، كانت الصراعات فى العالم الغربى تنشب إلى حد كبير بين الأسراء - الأباطرة ، ملوك مستبدون وملوك دستوريون يحاولون أن يتوسعوا فى بيروقراطياتهم وجيوشهم وقوتهم الاقتصادية التجارية وأهم من ذلك الأراضى التى يحكمونها . وفى ثانيا تلك العملية أوجدوا الدول القومية . وابتداء من الثورة الفرنسية أصبحت خطوط الصراع الرئيسية بين الدول وليس الأمراء . وفى عام ١٧٩٣ على حد قول ر . ر . بالمر : « انتهت حروب الملوك وبدأت حروب الشعوب » . وقد استمر نمط صراع القرن

التاسع عشر هذا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . منذ ذلك الحين وكنتيجة للثورة الروسية ورد الفعل المضاد لها ، أفسح صراع الشعوب المجال لصراع الأيديولوجيات ، أولا بين الشيوعية والفاشية النازية ، ثم بعدئذ بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية ، أثناء الحرب الباردة أصبح هذا الصراع متجسدا في النزاع بين القوتين العظميين ، اللتين لم تكن أيهما دولة قومية بالمعنى الكلاسيكي الأوروبي كما أن كلا منهما حددت هويتها على أساس أيديولوجيتها .

وقد كانت هذه الصراعات بين الأمراء والدول القومية والأيديولوجيات صراعات تدور أساسا في نطاق الحضارة الغربية ، أى أنها كانت « حروبا أهلية غربية » كما أسماها وليم ليند . وكان ذلك حقيقيا بالنسبة للحرب الباردة ، كما كان بالنسبة للحربين العالميتين والحروب السابقة في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . ومع نهاية الحرب الباردة تتحرك السياسة الدولية خارج طورها الأوروبي ويصبح مركز ثقلها هو التفاعل بين الغرب والحضارات غير العربية ، وكذلك بين الحضارات غير العربية مع بعضها البعض . وفي سياسات الحضارات لم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية أغراضا تاريخية بوصفهم أهدافا للاستعمارية الغربية ، ولكنهم ينضمون إلى الغرب كمحركين ومشكلين للتاريخ .

طبيعة الحضارات

أثناء الحرب الباردة كان العالم منقسما إلى العالم الأول والثاني والثالث ولم تعد تلك التقسيمات عملية . وإنه لذو مدلول أكثر إلى حد بعيد الآن أن تصنف البلدان ليس على أساس نظمها السياسية والاجتماعية أو على أساس مستوياتها من النمو الاقتصادي ، ولكن على الأصح على أساس ثقافتها وحضارتها . ولكن ماذا نقصد عندما نتكلم عن الحضارة ؟ الحضارة هي كيان ثقافي فالقرى والأقاليم والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية كلها لديها ثقافات مميزة على مستويات متباينة من التمايز الثقافي . وقد تكون ثقافة قرية في جنوب إيطاليا مختلفة عن ثقافة قرية أخرى في شمال إيطاليا ، إلا أن القريتين سوف تشتركان في ثقافة إيطالية بما يميزها عن القرى الألمانية ، كما أن المجتمعات الأوروبية بدورها سوف تشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية . غير أن العرب والغربيين والصينيين ليسوا جزءا من أي كيان ثقافي أوسع إذ أنهم يشكلون حضارات ، والحضارة على هذا النحو هي أعلى تجمع ثقافي للبشر ، كما أنها أعرض مستوى للهوية الثقافية يتمتع به البشر التي من دونها لا يتميز الجنس البشري عن الأنواع الأخرى من الكائنات . وتحدد الحضارة بكل من عناصر الأهداف المشتركة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات ، وأيضا بإثبات الهوية الذاتية للبشر . وللبنشر مستويات من الهوية فأحد أبناء روما قد يحدد هويته بدرجات متفاوتة على أنه رومى (النسبة للمدينة) وإيطالى

وكاثوليكي ومسيحي وأوروبي وغربي . والحضارة التي يتمي إليها مثل أعرض مستوى لإثبات الهوية يحقق هويته من خلالها بشدة ، ويمكن للناس أن يعيدوا صياغة هويتهم . وهم يفعلون ذلك . ونتيجة لذلك تتغير بنية وحدود الحضارة . وقد تشتمل الحضارات على عدد هائل من الناس كما هو الحال لدى الصين (« حضارة تدعى أنها دولة » على حد قول لوسيان باي) أو عدد صغير جدا من الناس مثل المتحدثين بالإنجليزية في البحر الكاريبي ، وقد تضم الحضارة في ثناياها عدة دول قومية كما هو الحال مع الحضارة الغربية أو حضارة أمريكا اللاتينية أو الحضارة العربية ، أو تنحصر في دولة قومية واحدة كما هو حال الحضارة اليابانية . ومن الواضح أن الحضارات تمتزج وتتداخل مع بعضها البعض وقد تشتمل على حضارات فرعية ، فالحضارة الغربية لها شكلان رئيسيان مغايران هما الأوروبي والأمريكي الشمالي ، والحضارات الإسلامية لديها التقسيمات الفرعية العربية والتركية والملاوية . والحضارات مع ذلك تمثل كيانات ذات دلالة ، وبينما لا تكون الخطوط بينها قاطعة إلا نادرا فإنها خطوط حقيقية . والحضارات تمتاز بديناميكيتهما فتراوح بين الصعود والسقوط والانقسام والتمزج ، وكما يعرف أي دارس للتاريخ فإن الحضارات تندثر أيضا وتدفن في رمال الزمن .

وميل الغربيون إلى الاعتقاد بأن الدول القومية هي الفاعل الرئيسي في الشؤون العالمية ، إلا أن تلك الدول كانت كذلك لبضع قرون فحسب ، ولكن الآفاق الأوسع للتاريخ الإنساني كانت هي تاريخ الحضارات . وأرنولد توينبي في كتابه (دراسة في التاريخ) حدد إحدى وعشرين حضارة لم يبق منها في العالم المعاصر إلا ست فقط .

لماذا ستتصادم الحضارات؟!؟

إن هوية الحضارات سوف تكون لها أهمية متزايدة في المستقبل وسوف يتشكل العالم إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثمان حضارات كبرى ، وتشتمل هذه الحضارات على الحضارة الغربية والصينية الكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والأرثوذكسية السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الأفريقية ، وسوف تقع أهم الصراعات في المستقبل على طول خطوط الخلل التي تفصل حضارة عن الأخرى .

لماذا ستكون هذه هي الحالة ؟

أولاً: إن الاختلافات بين الحضارات ليست حقيقية فحسب ، بل إنها أساسية ، فالحضارات تمتاز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات وأهم من ذلك الدين . وأبناء الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والآباء والأبناء ، والزواج والزوجة ، وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمي . وهذه الاختلافات هي نتاج قرون ولن تختفى في القريب العاجل إذ إنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية ، إلا أن الاختلافات لا تعنى بالضرورة الصراع والصراع لا يعنى بالضرورة العنف ، غير أنه على مدى القرون ولدت الخلافات بين الحضارات أكثر الصراعات طولا وأشدّها عتفاً .

ثانياً: إن العالم يتحول إلى مكان أصغر والتفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة في تزايد ، وهذه التفاعلات المتزايدة تكثف من الشعور بالتفاوت الحضارى والوعى بالاختلافات بين الحضارات ، وكذلك التجمعات ذات السمات المشتركة داخل الحضارة الواحدة . فهجرة أبناء شمال إفريقيا إلى فرنسا تولد العداء فى أوساط الفرنسيين ، ولكنها فى الوقت نفسه تزيد من تقبل هجرة البولنديين الكاثوليك الأوروبيين « الطيبين » والأمريكيون يستجيبون للاستثمارات اليابانية بسلبية تفوق كثيراً سلبيتهم إزاء الاستثمارات الأكبر من كندا والبلدان الأوروبية . وبالمثل كما يشير دونالد هورتس « فقد يكون أحد أبناء جنوب النيجر أورى أو أونيتشاي فيما كان يعد الإقليم الشرقى للنيجر ، وفى لاجوس يكون ببساطة أحد أبناء جنوب النيجر ، وفى لندن يكون نيجيريا أما فى نيويورك فهو أفريقى » . إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تقوى الشعور بالتفاوت الحضارى للبشر وهذا بدوره يحى الخلافات والبغضاء التى تمتد أو يعتقد أنها تمتد فى أغوار التاريخ .

ثالثاً: إن عمليات التحديث الاقتصادى والتغيير الاجتماعى فى كل أرجاء العالم تفصل البشر عن الهويات المحلية الراسخة ، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية ، وفى كثير من مناطق العالم تحرك الدين لملء هذه الفجوة ، ولكن غالباً فى صورة تيارات توصف بالتشدد ومثل تلك التيارات موجودة فى المسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية وكذلك الإسلام . فى معظم البلدان ومعظم الديانات يكون الأفراد النشطون المنتسبون إلى هذه التيارات شباباً ومتعلمين فى الكليات وفنيين من الطبقة

الوسطى ومهنيين وأشخاصاً يعملون في إدارة الأعمال ، وقد لاحظ جورج فيجل « أن اقتلاع العلمانية من العالم هي إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين » . إن الإحياء الديني يوفر مرتكزا للهوية والتزاما يتجاوز الحدود القومية ويقرب بين الحضارات .

رابعا: إن نمو الشعور بالتفاوت الحضارى يقويه الدور المزدوج الذى يلعبه الغرب . فمن ناحية يعد الغرب فى ذروة القوة ، إلا أنه فى الوقت نفسه وربما كنتيجة لهذه الحقيقة ، تحدث ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية . فالمرء يسمع على نحو متزايد إشارات عن اتجاهات للانكفاء على الذات والتحول إلى الطابع الآسيوى فى اليابان ونهاية تراث نهرو والتحول إلى الطابع الهندوسى فى الهند ، وإخفاق الأفكار الغربية عن الاشتراكية والقومية ومن ثم « إعادة أسلمة » الشرق الأوسط ، والآن ثمة سجال يدور حول التغريب فى مقابل التحول إلى الطابع الروسى فى بلد « بوليس يلتسين » .

إنه غرب فى ذروة قوته يجابه غير غربيين تتزايد لديهم الرغبة والإرادة والمواد لتشكيل العالم بطرق غير غربية .

فى الماضى كانت فئات النخبة فى المجتمعات غير الغربية هي عادة أكثر الناس ارتباطا بالغرب ، حيث تعلموا فى جامعات أكسفورد والسوربون وكلية ساند هيرست وتشربوا الاتجاهات والقيم الغربية فى الوقت الذى ظل فيه العامة فى البلدان غير الغربية مشبعين بالثقافة المحلية ، ولكن الآن يتم قلب هذه العلاقات إذ يحدث نزح للطابع الغربى لدى فئات النخبة وتأسيس الثقافة المحلية لديهم فى عديد من البلدان غير الغربية فى الوقت الذى تصبح فيه

الثقافات وأساليب المعيشة والعادات الغربية ، أمريكية فى أغلب الأحيان ، أكثر شيوعا بين جماهير الشعب .

خامسا : إن الخصوصيات والاختلافات الثقافية أقل تبدا ومن ثم فإنها أقل قابلية للتراضى بشأنها والتوصل لحلولا لها عن الخصوصيات والاختلافات الاقتصادية والسياسية . ففى الاتحاد السوفيتى السابق يمكن أن يصبح الشيوعيون ديموقراطيين والأغنياء يمكن أن يصبحوا فقراء ، والفقراء أغنياء ، ولكن الروس لا يمكن أن يصبحوا أستونيين كما لا يمكن أن يصبح الأذربيجانيون أرمنيين ، فى الصراعات الطبقيّة والأيدولوجية كان السؤال الرئيسى هو « مع أى طرف تقف ؟ » وكان بإمكان الناس أن يختاروا الأطراف التى يقفون معها وأن يغيروا تلك الأطراف وكانوا يفعلون ذلك . أما فى الصراع بين الحضارات فالسؤال هو « ما هويتك ؟ » وهو معطى لا يمكن أن يتغير ، وكما نعرف من البوسنة إلى القوقاز إلى مناطق أخرى يمكن أن تعنى الإجابة الخاطئة على هذا السؤال رصاصة فى الرأس . والدين يميز بين الناس أكثر من الانتماء العرقى بصورة حادة وعلى نحو خاطئ ! إذ يمكن للشخص أن يكون نصف فرنسى ونصف عربى وفى الوقت نفسه حتى مواطن فى بلدين ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون نصف كاثوليكى ونصف مسلم .

أخيرا فإن الإقليمية الاقتصادية تتزايد إذ ارتفعت نسب التجارة الكلية الإقليمية بين ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ من ٥١ فى المائة إلى ٥٩ فى المائة فى أوروبا ، ومن ٣٣ فى المائة إلى ٣٧ فى المائة فى شرق آسيا . ومن ٣٢ فى المائة إلى ٣٦ فى المائة فى شمال أمريكا ، ومن المرجح أن تستمر أهمية التكتلات الاقتصادية فى المستقبل .

ومن ناحية ، سوف تعزز الإقليمية الاقتصادية الناجحة من الشعور بالتفاوت الحضارى ومن ناحية أخرى فإن الإقليمية الاقتصادية قد تنجح فقط عندما يتم ترسيخها في حضارة مشتركة . فالجماعة الاقتصادية الأوروبية تركز على الأسس المشتركة للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية . أما نجاح اتفاقية التجارة الحرة في أمريكا الشمالية (نافتا) فيعتمد على التقارب الجارى حاليا بين الثقافة المكسيكية والثقافة الكندية والثقافة الأمريكية . أما اليابان فهي على العكس من ذلك تواجه مصاعب في خلق كيان اقتصادى مقارن في شرق آسيا ؛ لأن اليابان تعد مجتمعا وحضارة فريدة بذاتها ، ومهما كانت قوة الروابط التجارية والاستثمارية التى تنميها اليابان مع بلدان شرق آسيا الأخرى ؛ فإن اختلافاتها الثقافية مع هذه البلدان تعوق وربما تحول دون الارتقاء بالتكامل الاقتصادى مثل ذلك القائم في أوروبا وأمريكا الشمالية .

وعلى النقيض من ذلك تسهل الثقافة المشتركة بوضوح من التوسع السريع للعلاقات الاقتصادية بين جمهورية الصين الشعبية وتايوان وسنغافورة والجزائريات الصينية فيما وراء البحار في بلدان آسيا الأخرى . مع انتهاء الحرب الباردة تتغلب العموميات الثقافية بصورة متزايدة على الخلافات الأيديولوجية وتحرك الصين وتايوان للاقترب بعضهما من بعض أكثر ، وإذا كانت العمومية الثقافية شرطا مسبقا للتكامل الاقتصادى ، فمن المرجح أن تكون الكتلة الاقتصادية الرئيسية لشرق آسيا في المستقبل متمركزة في الصين . وهذه الكتلة في الحقيقة ، بدأت تشق طريقها بالفعل إلى الوجود كما لاحظ « موراى ويدنبوم » .

رغم الهيمنة اليابانية الحالية على المنطقة ، فإن اقتصاد آسيا الذى يتخذ من الصين قاعدة ، يأخذ فى البروز بسرعة بوصفه مركزا للصناعة والتجارة والتمويل ، وتحوى هذه المنطقة الاستراتيجية قدرا وافرا من التكنولوجيا والقدرة التصنيعية (تايوان) ودراية فائقة فى المشاريع والتسويق والخدمات (هونغ كونج) وشبكة اتصالات رائعة (سنغافورة) ومعينا هائلا من رأس المال التمويل (الثلاثة مجتمعين) واقطاعات ضخمة للغاية من الأرض والموارد والعمال (الصين الشعبية) . . ومن جوازحزو إلى سنغافورة ومن كوالالمبور إلى مانيلا ، توصف هذه الشبكة المؤثرة - التى تتركز فى الغالب على امتدادات للعشائر التقليدية - بأنها العمود الفقرى لاقتصاد شرق آسيا .

كذلك تشكل الثقافة والدين الأساس الذى تركز عليه منظمة التعاون الاقتصادى الذى تضم عشرين دولة إسلامية غير عربية : إيران وباكستان وتركيا وأذربيجان وكازاخستان وكيرجستان وتركمانستان وطاجيكستان وأوزبكستان وأفغانستان . وإحدى القوى الدافعة لإحياء وتوسيع هذه المنظمة ، التى أسسها أصلا كل من تركيا وإيران وباكستان عام ١٩٦٠ م ، هى إدراك زعماء العديد من هذه البلدان أنهم لا فرصة لديهم لدخول السوق الأوروبية المشتركة . وبالمثل فإن مجموعة الكاريبى الاقتصادية والسوق المشتركة لأمريكا الوسطى والميركوسير كلها تركز على أسس ثقافية مشتركة ، إلا أن المجهودات التى بذلت لإقامة كيان اقتصادى لأمريكا الوسطى والكاريبى يتجاوز خط التقسيم الأنجلو - لاتينى بامتياز حتى تاريخه بالفشل .

وبينما يحدد الناس هويتهم على أساس من انتمائهم العرقي أو الديني ، فمن المتوقع أن يروا علاقة « نحن » في مقابل « هم » قائمة بينهم وبين أهل الأعراق أو الأديان الأخرى ، وتسمح نهاية الدول المحددة أيديولوجيا للمهويات والبغضاء العرقية التقليدية باحتلال موضع الصدارة . والاختلافات في الثقافة والدين تولد اختلافات بصدد القضايا السياسية ابتداء من حقوق الإنسان ومرورا بالهجرة والتجارة إلى البيئة . ويؤدي التجاور الجغرافي إلى نشوء دعاوى الصراع على الأراضي من البوسنة حتى « ميندناو » . أهم من ذلك أن مجهودات الغرب في الترويج لقيمه الخاصة بالديموقراطية والليبرالية كقيم عالمية والحفاظ على تفوقه العسكري والارتقاء بمصالحه الاقتصادية تولد ردود فعل مضادة من الحضارات الأخرى ، ومع تقلص قدرتها على حشد الدعم وتشكيل التحالفات على أساس أيديولوجي ، سوف تحاول الحكومات والجماعات على نحو متزايد أن تحشد الدعم بالالتجاء إلى الهوية الدينية والحضارية . وهكذا يقع صراع الحضارات على مستويين اثنين على المستوى الأصغر تتصارع الجماعات المتجاورة على طول خطوط الخلل بين الحضارات غالبا بصورة عنيفة من أجل السيطرة على الأرض وعلى بعضها البعض . وعلى المستوى الأكبر تتنافس الدول ذات الحضارات المختلفة من أجل القوة العسكرية والاقتصادية النسبية ، والتنازع للسيطرة على المؤسسات الدولية وترويج قيمها الخاصة السياسية منها والاقتصادية على نحو تنافسي .

خطوط الخلل بين الحضارات

تحل خطوط الخلل بين الحضارات محل الحدود السياسية والأيدولوجية للحرب الباردة كنقاط توهج للأزمات وسفك الدماء ، فقد بدأت الحرب الباردة عندما قسم الستار الحديدي أوروبا سياسيا وأيدولوجيا ، وانتهت الحرب الباردة مع نهاية الستار الحديدي ، وبينما يختفى التقسيم الأيدولوجي لأوروبا ، يعود التقسيم الثقافي لأوروبا بين المسيحية الغربية من ناحية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام من ناحية أخرى إلى الظهور .

إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام . فبعد ظهور الإسلام لم ينته اندفاع العرب والمغاربة غربا وشرقا إلا في طولون عام ٧٣٢ م . وابتداء من القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر حاول الصليبيون بنجاح موقت أن يدخلوا المسيحية والحكم المسيحي إلى الأراضي المقدسة . ومن القرن الرابع عشر حتى السابع عشر قلب الأتراك العثمانيون الموازين فبسطوا سلطانهم على الشرق الأوسط وبلاد البلقان واستولوا على القسطنطينية وفرضوا الحصار على فيينا مرتين ، وعندما تضعضعت القوة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، رسخت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا السيطرة الغربية على شمال إفريقيا والشرق الأوسط .

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الغرب بدوره يتفهم حيث اختفت الإمبراطوريات الاستعمارية ، وراحت القومية العربية أولا ثم الأيديولوجية الإسلامية تفصح عن نفسها . أصبح الغرب يعتمد اعتمادا شديدا على بلدان الخليج العربي في الحصول على الطاقة ، وأصبحت البلدان الإسلامية الغنية بالبتروول غنية بالأموال ، وعندما ترغب ، غنية بالسلاح أيضا . وقعت عدة حروب بين العرب وإسرائيل (التي أوجدتها الغرب) ، كما خاضت فرنسا حربا دموية لا هوادة فيها في الجزائر استمرت أغلب سنوات الخمسينيات ، وغزت القوات البريطانية والفرنسية مصر عام ١٩٥٦ كما ذهبت القوات الأمريكية إلى لبنان عام ١٩٥٨ م . فيما بعد عادت القوات الأمريكية إلى لبنان وهاجمت ليبيا واشتبكت في عدة مواجهات عسكرية مع إيران . وفي أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩٠ م التي شارك فيها الغرب راح تخطيط حلف شمال الأطلسي يوجه بصورة متزايدة نحو التهديدات والقلاقل المحتملة على طول « صفة الجنوبي » .

ومن غير المتوقع أن يؤول ذلك التفاعل العسكري الذي يرجع إلى قرون بين الغرب والإسلام إلى الزوال ، بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة .

كذلك فإن العلاقات بين البلدان الإسلامية والغرب تعقد منها أيضا العوامل الديموجرافية ، حيث أدت الزيادة السكانية المذهلة في البلدان العربية ، وخاصة في شمال إفريقيا ، إلى الهجرة المتزايدة إلى أوروبا الغربية ، وقد أدى تحرك أوروبا الغربية نحو

تقليص الحدود الداخلية إلى احتداد الحساسيات السياسية فيما يتعلق بهذا التطور . ففى إيطاليا وفرنسا وألمانيا يتم التعبير عن العنصرية علنا على نحو متزايد كما أصبحت ردود الفعل السياسية والعنف ضد المهاجرين العرب والأتراك أكثر حدة وأوسع انتشارا منذ عام ١٩٩٠ م .

وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات . ويرى م . ج . أكبر وهو مؤلف هندى مسلم « أن المواجهة التالية للغرب سوف تأتى من العالم الإسلامى وسوف يبدأ الكفاح من أجل نظام عالمى جديد يزحف الشعوب الإسلامية من المغرب إلى باكستان » . وكذلك يصل برنارد لويس إلى نتيجة ماثلة :

« إننا نواجه حالة نفسية وحركة تتجاوز إلى حد بعيد مستوى القضايا والسياسات والحكومات التى تتبعها . وهذا ليس بأقل من صدام الحضارات - أو ربما كان ذلك هو رد الفعل غير العقلانى (وإن يكن تاريخيا على وجه التحقيق) ، لمنافس قديم تجاه تراثنا اليهودى المسيحى وحاضرنا العلمانى وامتداد كليهما إلى كافة أرجاء العالم .

وعلى الحدود الشمالية للإسلام يتفجر الصراع بصورة متزايدة بين الشعوب الأرثوذكسية والإسلامية بما فيها مذبحة البوسنة وسراييفو ، والصراع المتأجج بين الصرب وألمانيا والعلاقات الواهية بين البلغاريين والأقلية التركية التى تعيش بينهم والعنف بين الأوسيتيين والأنجوش ، والمذابح التى لا تتوقف بين

الأذربيجانيين والأرمن والعلاقات المتوترة بين الروس والمسلمين في وسط آسيا ونشر القوات الروسية لحماية المصالح الروسية في القوقاز ووسط آسيا . إن الدين يقوى إحياء الهويات العرقية ويعيد تحريك مخاوف الروس فيما يتعلق بأمن حدودهم الجنوبية ، وهذه المخاوف يعبر عنها أرشى روزفلت تعبيرا جيدا في قوله : « إن الكثير من التاريخ الروسى يتعلق بالنزاع بين الشعوب السلافية والتركية على حدودهم ، الذى يرجع إلى تأسيس الدولة الروسية لأكثر من ألف عام خلت ، ولا يكمن المدخل لفهم التاريخ الروسى فحسب فى مواجهة السلاف ذات الألف عام مع جيرانهم الشرقيين ، بل أيضا فهم الشخصية الروسية ، ولكى نفهم الحقائق الروسية اليوم ، على المرء أن يكون لديه مفهوم عن الجماعة التركية العرقية الضخمة التى شغلت الروس على مدى القرون .

إن صراع الحضارات متجذر إلى حد بعيد فى أماكن أخرى من آسيا . ويعبر الصدام التاريخى فى شبه القارة الهندية بين المسلمين والهندوس عن نفسه ليس فى التنافس بين باكستان والهند فحسب ، بل أيضا فى النزاع الدينى المتفاقم داخل الهند بين الجماعات الهندوسية التى تزداد نزعتها إلى الاقتتال والأقلية المسلمة الكبيرة ، وقد فجر تدمير مسجد أيودها فى ديسمبر ١٩٩٢م قضية إذا ما كانت الهند ستظل دولة ديمقراطية علمانية أم ستصبح دولة هندوسية وأتى بها إلى موضع الصدارة . وفى شرق آسيا للصين نزاعات معلقة على الأراضى مع أغلب جيرانها وقد

اتبعت الصين سياسة لا هودة فيها تجاه الشعب البوذي في التبت
وهي تتبع سياسة متزايدة البطش تجاه الأقلية التركية المسلمة . مع
انتهاء الحرب الباردة أعادت الخلافات الأصلية بين الصين
والولايات المتحدة تأكيد نفسها في مناطق مثل حقوق الإنسان
والتجارة وانتشار الأسلحة ومن غير المتوقع أن تخف حدة هذه
الخلافات . وقد نقل عن دينج زياو بينج أنه أكد في عام ١٩٩١ م
أن « حربا باردة جديدة » بسبيلها إلى الشوب بين الصين
والولايات المتحدة .

وقد استخدمت العبارة نفسها بالنظر إلى العلاقات المتزايدة
الصعوبة بين اليابان والولايات المتحدة . هنا تشير الخلافات
الثقافية صراعا اقتصاديا . والناس في كل جانب تتهم الجانب
الأخر بالعنصرية ولكن على الأقل في الجانب الأمريكي فإن النفور
ليس عنصريا ولكنه ثقافي إذ لا يمكن أن تكون القيم الأساسية
والاتجاهات والأغاط السلوكية للمجتمعين أكثر تباينا . فالقضايا
الاقتصادية بين الولايات المتحدة وأوروبا لا تقل أهمية عن تلك
القائمة بين الولايات المتحدة واليابان ، ومع ذلك فليس لها
البروز السياسي نفسه والحدة العاطفية ؛ لأن الاختلافات بين
الثقافة الأمريكية والثقافة الأوروبية أقل بكثير من تلك التي بين
الحضارة الأمريكية والحضارة اليابانية .

الاحتشاد الحضارى: أعراض بلد القرابة

إن الجماعات أو الدولة المنتمية إلى حضارة واحدة والتي تصبح
مشتبكة في حرب مع أناس من حضارة مختلفة ، تحاول بطبيعة
الحال أن تحشد الدعم من الأعضاء الآخرين في حضارتها ، وبينما
يتشكل عالم ما بعد الحرب الباردة فإن العمومية الحضارية أو ما
يسميه هـ . د . س . جرينواي « أعراض بلد القرابة » يحل محل
اعتبارات الأيديولوجيا السياسية والتوازن التقليدي للقوى بصفته
الأساس الرئيسى للتعاون والتحالفات . ويمكن رؤية هذه الأعراض
تظهر تدريجيا في صراعات ما بعد الحرب الباردة في القوقاز
والبوسنة وغيرها من المناطق ، فلم يكن أى من تلك الصراعات
حربا شاملة بين الحضارات ، إلا أن كلاً منها انطوى على بعض
عناصر الاحتشاد الحضارى الذى بدأ أنه يصير أكثر أهمية مع
استمرار الصراع وهو ما قد يوفر فكرة مسبقة لما سيقع فى المستقبل .

إن أعراض بلد القرابة ظهرت فى صراعات ما كان فى السابق
الاتحاد السوفيتى وفى يوغوسلافيا السابقة وقد أظهرت الجماهير
الغربية تعاطفا ودعمًا لمسلمى البوسنة والأهوال التى عانوها على
أيدى الصرب : إلا أن الهجمات الكرواتية على المسلمين ومشاركة
الكروات فى تزيق البوسنة والهرسك لم يحظ إلا بالتعبير عن قليل

من القلق النسبى . وفى المراحل الأولى لتفكيك يوغوسلافيا ، قامت ألمانيا فى استعراض غير عادى للمبادرة الدبلوماسية والعضلات بإقناع الأحد عشر عضوا الآخرين فى الجماعة الأوروبية بحذو حذوها فى الاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا . ونتيجة لتصميم البابا على توفير الدعم القوى للبلدين الكاثوليكين ، قدم القاتيكان اعترافه بالبلدين حتى قبل أن تفعل ذلك الجماعة الأوروبية وسارت الولايات المتحدة فى أثر أوروبا . وهكذا فإن الممثلين البارزين فى الحضارة الغربية احتشدوا خلف بنى دينهم . فيما بعد روى أن كرواتيا كانت تتلقى كميات كبيرة من الأسلحة من أوروبا الوسطى والبلدان الغربية الأخرى . ومن ناحية أخرى حاولت حكومة بورس يلتسين أن تتبع نهجا معتدلا يميل إلى الصرب الأرثوذكسيين ولكنه لا يقصى روسيا عن الغرب ، إلا أن الجماعات الروسية القومية والحفاظة بما فيهم بعض أعضاء البرلمان هاجموا الحكومة ؛ لأنها لم تكن أكثر استعدادا لدعم الصرب . وفى مطلع ١٩٩٣ م كان من الواضح أن عدة مئات من الروس يقاتلون إلى جانب القوات الصربية وانتشرت الروايات عن الأسلحة الروسية التى تزود بها صربيا .

من ناحية أخرى فإن الشعوب والحكومات الإسلامية انتقدت الغرب بشدة لتقاعسه فى الدفاع عن البوسنيين ، وحث الزعماء المسلمين على تقديم المساعدة للبوسنة فى مخالفة حظر تصدير

الأسلحة الذي فرضته الأمم المتحدة كما زودت بعض الدول البوسنيين بالأسلحة والرجال . وفى عام ١٩٩٣ م يروى أن ما يصل عددهم إلى أربعة آلاف مسلم من عدة بلدان إسلامية كانوا يقاتلون فى البوسنة . وبحلول نهاية عام ١٩٩٢ م يروى أن السعودية كانت قد قدمت تمويلا ودعمًا كبيرًا للبوسنة بما زاد من قدرتها العسكرية فى مواجهة الصرب .

وبينما أثارت الحرب الأهلية الأسبانية فى الثلاثينيات تدخلا من بلدان كانت من الناحية السياسية فاشية وشيوعية وديموقراطية فإن الصراع اليوغوسلافى فى التسعينيات أثار تدخلا من بلدان أرثوذكسية وإسلامية ومسيحية غربية ولم يمر ذلك التطابق دون ملاحظة إذ علق محرر سعودي قائلا : « لقد أصبحت الحرب فى البوسنة والهرسك هى المعادل العاطفى للمقتال ضد الفاشية فى الحرب الأهلية الأسبانية ، فأولئك الذين ماتوا هناك يعتبرون شهداء حاولوا أن ينقذوا إخوانهم المسلمين » .

وسوف يقع الصراع والعنف أيضا بين الدول والمجموعات داخل الحضارة الواحدة . إلا أن تلك الصراعات على الأرجح ستكون أقل شدة كما أن احتمال اتساعها سيكون أقل من تلك الصراعات التى تنشعب بين الحضارات حيث أن العضوية المشتركة فى الحضارة نفسها من شأنها أن تقلل احتمال حدوث العنف فى مواقف قد ينشب فيها فى أحوال أخرى .

لقد ظل الاحتشاد الحضارى حتى تاريخه محدودا ، ولكنه فى تزايد ومن الواضح أن لديه القوة لكى ينتشر إلى أبعد من ذلك . وإذا تتواصل حلقات الصراع فى القوقاز والبلقان والبوسنة ، كانت مواقف الشعوب والخلافات بينها تحدث على نحو متزايد على طول الخطوط الحضارية . وقد وجد الساسة والزعماء الدينيون ووسائل الإعلام فيها وسيلة قوية لإثارة المساندة الجماهيرية والضغط على الحكومات المترددة . وفى السنوات القادمة فإن الخلافات المحلية التى يرجح لها أن تتصعد إلى حروب كبرى ، هى تلك التى تقع على طول خطوط الخلل بين الحضارات كما هو الحال فى البوسنة والقوقاز .

الملايسات بالنسبة للغرب

إن هذه المقالة لا تزعم أن الهويات الحضارية سوف تحل محل كل الهويات الأخرى ، وأن الدول القومية سوف تختفي ، وأن كل حضارة سوف تصبح كيانا سياسيا واحدا متماسكا ، وأن الجماعات في نطاق حضارة ما لن يتصارعوا ولا حتى يحارب بعضهم بعضا ، بيد إن هذه الورقة تطرح الفرضية القائلة بأن الخلافات بين الحضارات هي خلافات حقيقية ومهمة . إن الوعي بالتفاوت الحضارى فى تزايد ، وسوف يحل الصراع بين الحضارات محل الصراع الأيديولوجى والأشكال الأخرى للصراع باعتباره الشكل العالمى السائد للصراع . والعلاقات الدولية التى كانت لعبة تنتهى داخل حدود الحضارة الغربية : سوف يتزايد نزع الصفة الغربية عنها وتصبح فيها الحضارات غير الغربية أعضاء فاعلين وليسوا مجرد أهداف . أما المؤسسات الدولية السياسية والأمنية والاقتصادية الناجحة فسوف يزداد نشوؤها على الأرجح داخل الحضارات وليس عبرها . وستكون الصراعات بين الجماعات ذات الحضارات المختلفة أكثر تكرارا وأكثر استمرارا وأكثر عنفا من الصراعات التى تنشأ بين جماعات داخل نفس الحضارة ، والصراعات العنيفة بين الجماعات المنتمية إلى

الحضارات المختلفة هي أكثر المصادر احتمالاً وخطورة للتصعيد الذي يمكن أن يؤدي إلى حروب عالمية ، وسيكون المحور الرئيسي للسياسة الدولية هو العلاقات بين « الغرب وباقي العالم » ففئات النخبة في بعض البلدان غير الغربية الممزقة سوف يحاولون أن يجعلوا بلدانهم جزءاً من الغرب ، ولكنهم في أغلب الحالات سيواجهون عقبات كبرى في تحقيق ذلك . والبؤرة المركزية للصراع في المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية العديدة .

إن ذلك ليس دفاعاً عن استحياب الصراع بين الحضارات ، ولكنه يرمى إلى طرح فرضيات وصفية لما يحتمل أن يكون عليه المستقبل . وإذا كانت تلك الفرضيات معقولة في ظاهرها ، فمن الضروري أن ننظر بعين الاعتبار إلى ملاساتها بالنسبة للسياسة الغربية ويجب أن تقسم تلك الملاسات بين الفائدة على المدى القصير والاحتواء على المدى الطويل . وعلى المدى القصير من الواضح أنه من مصلحة الغرب أن يعزز تعاوناً أكبر وتوحيداً في نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكوناتها الأوروبية والأمريكية الشمالي ، وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في الغرب ، وهي مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب . وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ويحافظ عليها ، وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى

بين الحضارات ، وأن يحد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية ، وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية ويحافظ على التفوق العسكرى فى شرق وجنوب غرب آسيا ، وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية فى الحضارات الأخرى ، وأن يقوى المؤسسات الدولية التى تعكس وتسوغ المصالح والقيم الغربية وتضفى عليها الشرعية ، وأن يروج لاشتراك الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات .

أما على المدى الأطول فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمرا مطلوبا . فالخضارة الغربية هى حضارة غربية وحديثة معا ، وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية ، وحتى يومنا هذا لم ينجح فى هذا المسعى إلا اليابان . وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة التى تمثل جزءا من كون الحضارة حديثة ، كذلك ستحاول تلك الحضارات أن نوائم هذه الحديثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية : أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالقياس للغرب . ومن ثم يتوجب على الغرب على نحو متزايد أن يحثوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية التى تقترب قوتها من قوة الغرب ، ولكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب ، وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه

الحضارات ، كما أنها سوف تستلزم أيضا من الغرب أن ينمى تفهما أكثر عمقا للمقولات الأساسية الدينية والفلسفية التي تقوم عليها الحضارات الأخرى والطرق التي ينظر بها الناس في تلك الحضارات إلى مصالحهم ، وكذلك سوف يستلزم بذل الجهود لتحديد عناصر السمات المشتركة بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى .

في المستقبل الوثيق الصلة بالقضية لن يكون ثمة حضارة عالمية ، ولكن بدلا من ذلك عالم من الحضارات المختلفة ، وسيكون عليها أن تتعايش مع الحضارات معا .

صدر من سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

- ١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .
- ٢ - الغرب والإسلام .
- ٣ - أبو حيان التوحيدى .
- ٤ - دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى .
- ٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام .
- ٦ - الانتماء الثقافى
- ٧ - تنصير العالم .
- ٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .
- ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .
- ١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية .
- والمشروع الفكرى
- ١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .
- ١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .
- ١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .
- ١٤ - المنهاج العقلى .
- ١٥ - النموذج الثقافى .
- ١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
- ١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين
- ١٨ - الثوابت والمتغيرات فى البقطة الإسلامية الحديثة .
- ١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- ٢٠ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى .
- ٢١ - فكر حركة الأستارة . . وتناقضاته .
- ٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جاردوى .
- ٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ٢٤ - الحضارات العالمية تدافع ؟ . أم صراع .

سيصدر قريبا إن شاء الله

- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب ؟ . أم بالإسلام ؟؟
- ٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .
- ٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية

د . عادل حسين
د . محمد عمارة
ترجمة ا . ثابت عيد

الفهرس

- ٣ الرواية الإسلامية
- الرواية الغربية:
- ٢٢ مقال هانتنجتون « صدام الحضارات » :
- ٢٣ ● النمط القادم للصراع
- ٢٥ ● طبيعة الحضارات
- ٢٧ ● لماذا ستتصادم الحضارات ؟
- ٣٤ ● خطوط الخلل بين الحضارات
- ٣٩ ● الاحتشاد الحضارى : أعراض بلد القراية
- ٤٣ ● الملايسات بالنسبة للغرب



مكتبة
للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٧٨

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ؛ أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولنتقدم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى ● د . محمد سليم العوا
- ١ . فهمى هويدى ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيرى ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر